ضوابط التجديد: رؤية إسلامية

Muhammad Hossainy Musa al-Ghazali
Al-Azhar University Cairo-Egypt
Email: mhossainy@maktoob.com

Abstract

The *tajdid* (renewal) which involves the meaning of the non-existence invention should have the guidelines based on Islamic Law. By these guidelines, there will be no space for destructing religion in the name of *tajdid*. Consequently, the discussion on *tajdid* guidelines is an Islamic matter, so that the confusion between the right and the wrong will be eliminated. *Tajdid* is neither a complete chaos nor a strong desire to remove all religion's original form. Also, it does not mean to do a judgment to the efforts done by the early Muslim scholars and who came after them, but *tajdid* in Islam should be based on the guidance given by Allah in order to achieve the aim of being deputies and empowerment in this world. Thus, it should not exceed the area of rules which are semi definitive (*al-aḥkām al-ẓanniah*) which is the area of conducting *ijtihad*. Finally, the guidelines of *tajdid* in Islam comprise the rational knowledgeable, moral and Islamic guidelines, by which, the *tajdid* will be prevented from the misuse.

Keywords: al-fikr al-islāmy, al-ijtihād, al-ḍawābiṭ al-qalbiyyah, al-taqlid al-fasid

مقدمة

فإن التجديد سنة ربانية وصنعة إلهية ـــ يدل على قدرة الله تعالى ، كما يدل على وحدانيته في الخلق والإنشاء ، والإيجاد والإعدام ، كما أنه فريضة

ربانية على كل العقلاء نظرا لإرتباط منافع العباد به ، وتحقيق المصالح من خلاله ، فعلى أساسه يتم الإجتهاد ، ومن ناتجة يقوم التقدم الحضاري ، والإبتكار المعرفي على النواحي المشروعة.

لأن التجديد فيه معنى الإحداث من العدم ، ومن هنا إرتبطت نهضة الأمم بقدر ما يقع لها من تجديد مدروس ، قائم على قواعد علمية مشروعة ، مرتبط بنتائج وغايات سليمة.

وإذا كان مفهوم الإجتهاد أنه بذل المجهود في طلب المقصود من جهة الإستدلال ، فإن التجديد هو بذل المجهود في تحقيق المقصود من جهة ما يرتبط بمصالح العباد في الدنيوية ، ويحقق سعادتهم الأخروية ، ومن هنا كان التجديد من مقصود صاحب الشريعة الإلهية.

فالحوار الفكري الذي يقوم به الفرد مع الآخر ، أو بين الحضارات المختلفة إنما هو مظهر من مظاهر التجديد ، والمناقشات التي تدور داخل الإطار العام للأبحاث العلمية ذات الصبغة النظرية أو التجريبية إنما هو تجديد مشروع .

غير أن التجديد يجب أن تكون له ضوابط مشروعة ، حتى لا يتصور أصحاب العبث والتحلل ، أو أصحاب التدمير والتخريب أن ما يقومون به تجديد، مع أنه عين الفساد ، ومن هنا بات الحديث عن ضوابط التجديد أمرا مشروعا ، حتى لا يقع الخلط بين الصحيح والفاسد ، بين الحق والباطل .

تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات

كل لفظ لغوي يقدم معان كثيرة ، ربما أوقعت المرء في حيرة من أمره ، إن هو تعامل معها على وجه العموم ، ومن ثم فمن الضروري تحديد المفردات المستخدمة ، وتحرير المصطلحات القائمة في العنوان على النحو التالي:

أولاً: تعريف التجديد

التجديد من الألفاظ اللغوية ذات المفاهيم والمعاني المشتركة[1] والألفاظ هي الأثواب التي تبرز المعاني غير المرئية ، ولولا الألفاظ لظلت المعاني مجهولة ، و قد وردت في القرآن الكريم حوالي عشر مرات[2] منها ثماني مرات بلفظ جديد.

ثم أن مادة الكلمة ج ـــ د ـــ د ـــ واردة في لغة العرب على ناحية الإستعمال الدلالي علي معاني الأجتهادو الإحداث من العدم واعادة ما سلب مع تنحيته من الشوائب حتي يكون جديدا.

أخلص إلى أن مفهوم التجديد في اللغة[3] ، هو ما يقوم به الإنسان الواعي في جد وإجتهاد ، ليخرج الشيء من العدم إلى الوجود ، ويؤدي ذلك في وقت

---

[1] المشترك اللفظي ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير ، العلامة الجرجاني ـــ التعريفات باب الميم صـــ ١٩١ ط. الحلبي سنة ١٩٣٨ ، ويمكن أن يتم توظيفه على العديد من المعاني ، ويقدم في كل منها ما يفيد بالنسبة للسامع والمتكلم ، مثل لفظ العين ، فإنها تطلق على عين الماء ، والباصرة ، وما يقوم من المتاع وغيره ، والدابة فإنها تطلق على ذي الأربعة ، كما تطلق على كل ما يدب ، وهكذا تعددت أوجه الإستعمال الدلالي والتوظيفي.

[2] راجع للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، باب الجيم ، صـــ ١٦٥ ، حيث ذكر مواضعها في السور والآيات القرآنية.

[3] هذا القيد في اللغة أردت به الفصل بين ما يجيء في اللغة وما سيجيء بعد ذلك على طريق الإصطلاح ، بحيث يتضح كل منهما عن الآخر.

قياسي ، مع عزل الجوانب السلبية عنه ، بحيث تتحقق الفائدة ويعم النفع[٤]، والمجدد هو ذلك الإنسان المفكر الواعي لحقيقة وجوده ، وما يفرضه عليه من مشاركة إيجابية ، ومن ثم يسعى للقيام بواجبه ـــ العقلي ، والبدني ، والوجداني ـــ في سبيل بلوغ تلك الغاية ، وتحقيق ذات الهدف[٥]، ويكون التجديد في الفكر الذي يشمل المعقولات أو المعنويات ، كما يكون في الماديات التي تمثل موضوعه

ب ـــ في الإصطلاح

يعني بالإصطلاح اتفاق جماعة بذاتها ـــ أو قوم ما ـــ في علم من العلوم ـــ أو فن من الفنون ـــ على استعمال لفظ بعينه ـــ أو ألفاظ بذاتها ـــ في معان تكون مرادة لديهم دون إعتبار لغيرهم[٦] ، ولكل جماعة مصطلحاتها ، ولا تقع المنازعة فيها ومن هنا قال العلماء " لا مشاحة في الإصطلاح ".

ذهب علماء الحديث إلى أن التجديد هو إحياء ما إندرس من العمل بالكتاب والسنة ، والأمر بمقتضاهما[٧]، بحيث يكون الناظر لآيات القرآن الكريم وأحاديث البشير النذير على وعي بالأهداف والغايات التي ارتبطت بها في صورة

---

[٤] إذا لم يرتبط التجديد بالفائدة والنفع في الدنيا والآخرة فلا يكون تجديدا على معنى من المعاني الواردة في اللغة طبقا لما سلف بيانه .

[٥] هذه الجوانب تمثل الصورة التي يتم عليها المجهود الذي يقوم به المفكر نفسه ، حيث أنه المقصود بالدرجة الأولى، فلا يظن ظان أن الموضوع هو طبيعة المفكر أو إمكانياته.

[٦] قال الشيخ " السيد الشريف الجرجاني " الإصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى ـــ التعريفات ، باب الهمزة ، صـــ ٢٢ ، ط. الحلبي سنة ١٣٥٧ هـــ / ١٩٣٨ .

[٧] الشيخ محمد منصور أبو صبرة : نظرات في السنة ، صـــ ٧٧ / ٧٨ ، ط. المطبعة الميمنية ، سنة ١٣٣٤ هـــ ، وراجع الشيخ عبد العظيم محمود فضل الله : من كنوز السنة ، صـــ ٩٤ ، ط. الدار القويمة ، سنة ١٩٦٧ .

تعين على تقدم الحياة من الناحية الحضارية حيث ينتصر العلم الصحيح ، وتنزوي الأفكار الفاسدة ، وهذا مما يحقق للناس أفضل الأهداف والغايات ، سندهم في ذلك ما أوردته كتب السنة عن أبي هريرة من أن رسول الله قال " أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها "[٨] ، وفي رواية من يجدد لها دينها[٩] .

كما أن التجديد لفظ نقلي يراد به توظيف الفكر الواعي لإستخراج المعاني القائمة داخل النصوص القائمة ، بحيث يتم الاستفادة منها في أنماط الحياة المختلفة طبقا لما شرع الله تعالى[١٠] ، على أساس أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

ثانياً: موضوع التجديد[١١]

مادام التجديد حركة واعية يقوم بها المفكر في فهم النصوص الشرعية ، وتوظيفها بما يحقق مصالح الناس في الدنيا ـــ زمانا ومكانا وأشخاصا ـــ فلا بد أن يكون موضوعه الإشارات النقلية التي تبين عن مرونة الفكر الإسلامي ،

---

[٨] هذا الحديث ورد بروايات عديدة ، وكلها يعضد بعضها بعضا ، ولا خلاف في معنى الحديث ، إنما الخلاف بين العلماء في تعيين هذا الذي يجدد لها أمر دينها ، وأعني به شخص المجدد لا حقيقة التجديد .

[٩] الإمام أبو داود : السنن الكبرى ، جـ ١١ ، صـ ٣٦٢ ، باب ما يذكر في قرن المائة ، حديث رقم ٤٢٩١ ، ط. دار الفكر العربي ، بيروت ، تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ، وقال الألباني حديث صحيح .

[١٠] المعاني القائمة بالنصوص تحتاج مجهود الفكر لبيان جوانب طبيعتها ، وكيفية الإستفادة منها ، ولا مانع من تصدير هذه النتائج بحيث تقع للجميع بها فائدة .

[١١] موضوع كل علم يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ـــ كبدن الإنسان لعلم الطب ، فإنه يبحث فيه عن أصوله من حيث الصحة والمرض ، السيد الشريف الجرجاني : التعريفات ، باب الميم ، صـ ٢١٢ ، ط. الحلبي سنة ١٩٣٨ م. .

وإمكانية التعامل معه في أنماط الحياة المختلفة[١٢] ، لأن ذلك من السنن الإلهية المعبرة عن أن التجديد فريضة إسلامية .

فالتجديد ليس فوضى شاملة ، ولا رغبة عارمة في إزالة كل ما هو قائم ، كما أنه ليس وسيلة لتصفيات الحسابات بين جهود العلماء السالفين ـــ ومن تلاهم ـــ إنما هو استهداء بما جاء من عند الله تعالى ،بحيث يحقق مراد الله جل علاه ، في الإستخلاف والتمكين معا[١٣]، ويكون ذلك بالنسبة للأحكام الظنية التي يقع فيها الإجتهاد ، ويتحقق معه شيء من التجديد ، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[١٤] .

من ثم يمكن القول بأن موضوع التجديد كل أمر أشارت إليه النصوص النقلية ، مما يوفر الخير للناس في دنياهم ، ويحقق السعادة بأخراهم ، لأن هذا التجديد يضيف بعدا جديدا لم يكن للفهم السابق عليه دليل ، ويحقق في نفس الوقت ذاته مصالح ترتبط بكل من العقيدة والنصوص الإلهية .

---

[١٢] وذلك الحديث عن مبدأ الإنسان ومنتهاه والوظائف التي خلقه الله تعالى ، وأمره القيام بها، والظواهر الكونية من ماء ونار ، ومصادر الطاقة المختلفة الداخلة في نطاق قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

[١٣] الإستخلاف مشار إليه بقوله تعالى تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

[١٤] سورة الحج : الآية ٤١ .

ثالثاً: ما هو الفكر الإسلامي[١٥]

الجواب على هذا التساؤل يستلزم التفرقة بين أمرين

أحدهما الإسلام ـــ وهو الدين الذي جاء من عند الله رب العالمين ، وبلغه جميع الأنبياء وكافة المرسلين من لدن آدم إلى سيدنا محمد خاتم رسل الله أجمعين ، ونصوصه هي : النقل المنزل ، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـــ ومن ثم فالإسلام هو الدين والنصوص معا ـــ دين خالد ، ونصوص ثابتة في ذاتها ، مرنة عند التعامل معها[١٦].

ثانيهما الفكر الإسلامي ـــ وهو الحركة العقلية الواعية التي يقوم بها المفكر المسلم في تفهم النصوص الإسلامية خدمة لها ، وتوضيحا لأهدافها ، وتحقيقا لغاياتها من علوم العقيدة والتفسير والحديث ، بل الفقه والنحو وكل علم يؤدي ذات المهمة[١٧]، ومجمل نشاط الفكر الإسلامي مرتبط بما تتطلبه النصوص الشرعية، والتجديد يكون في الفكر الإسلامي ، ويقوم به المفكر المسلم بما يحقق مراد الله تعالى .

---

[١٥] يعرف الفكر بأنه ترتيب أمور معلومة لتأوي إلى مجهول ـــ السيد الشريف الجرجاني : التعريفات ،باب الفاء ، صـــ ١٤٧ ، كما يعرف لدى المناطقة بأنه حركة النفس في المعقولات ـــ راجع كتابنا : الغزاليات في منطق التصورات صـــ ٩٥ ـــ ويذهب الإمام الغزالي إلى أن الفكر مرآة تريك الحسنات فتنتقل إليها ، والسيئات فتهرب منها .

[١٦] مرونة النصوص معناه قدرتها على استيعاب المستجدات التي تجيء مع كل عصر ، كما توفر الأمان في كل زمان ومكان ـــ بجانب تحقيق السعادة على كافة النواحي متى التزم المرء بها .

[١٧] كل علم مصدره ـــ أو هدفه ـــ النصوص الإسلامية ـــ عرضا أو محافظة ، أو شرحا ـــ فإنه يدخل في نطاق الفكر الإسلامي إذا وقع المفكر في خطأ فإنه ينسب إليه، ويحاسب عليه ولا ينسب ذلك للإسلام، ومن ثم فلا يحسب عليه.

رابعاً : علاقة التجديد بالإجتهاد

ذكر علماء الأصول أن الله تعالى أعطى العقل فسحة ليمارس دوره البناء في قضايا عديدة ، وطالبه أن يجدد في وسائله طالما كان ذلك يحقق مصلحة مشروعة ،وقد بين الإمام " الشاطبي " هذه العلاقة ، حيث يقول لم يبق للدين قاعدة يحتاج إليها في الضروريات والحاجيات أو التكميلات إلا وقد بينت غاية البيان ، نعم يبقي تنزيل الجزئيات على تلك الكليات موكولا إلى نظر المجتهد ، فإن قاعدة الإجتهاد أيضا ثابتة في الكتاب والسنة ، ولا بد من أعمالها ـــ ولا يسع تركها ـــ وإذا ثبتت في الشريعة أشعرت بأن ثم مجالا للإجتهاد ، ولا يوجد ذلك إلا فيما لا نص فيه[١٨] .

ولأن الإجتهاد يمثل عملا عقليا في استخلاص حكم شرعي ، فقد سنه رسول الله ، يقول الدكتور " مصطفى عبد الرازق " سن الرسول لولاته في الأمصار أن يجتهدوا رأيهم حين لا يجدون نصا[١٩]، وجاء القرآن الكريم نفسه بأحكام كلف بها المسلمون ، على أن يكون سبيلهم في طاعتها الإسترشاد بالعقل، كما في مسألة التوجه إلي القبلة للبعيد عن الكعبة[٢٠] .

على أنا نقول أن التجديد يمثل صورة من صور الإجتهاد ، لأن الإنسان الواعي هو الذي يسعى لتحقيق المصلحة المشروعة ، ويحاول الإلتزام بما جاء من

---

[١٨] الإمام الشاطبي : الإعتصام ، صـ ١٩٧ / ١٩٨ .

[١٩] لعله يأخذ قصة سيدنا معاوذ بن جبل ، حين بعثه رسوله إلى اليمن مقياسا ، وهي ثابتة في المصادر الموثقة الحديثية والفقهية والتاريخية

[٢٠] الدكتور / مصطفى عبد الرازق : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، صـ ١٢٨ ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٧ .

عند الله تعالى على أتم الوجوه وأكملها[٢١]، ومن هنا أستطاع الأوائل من أهل الإسلام إقامة صرح الحضارة ، وشادوا أركانه ، بل قدموا نماذج من حضارتهم الزاكية للعالم أجمع ، لأنهم على يقين من أن بذل العلم كطلبه فريضة ، وكاتم العلم ملعون .

كما كانوا على ثقة من أن التجديد متى أريد به تنحية الشوائب عن الأصل القائم ، فإنه يكون مقبولا ، ومتى أريد به إعادة النشاط الذهني والمساهمة في أنماط الحضارة بما يحقق مقصود صاحب الشريعة ، فإنه يكون مرادا من الله تعالى ، ويثاب به صاحبه ، بل يؤجر عليه في دار الدنيا بالذكر الحسن ، وفي الآخرة بالجزاء العظيم فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

الضوابط القلبية (الشرعية)[٢٢]

تعدد الضوابط القلبية إلى الحد الذي يجعل الناظر فيها يقع في حيرة من أمره ، أيهما يختار ، ولكني سأدع تلك الحيرة جانبا ، ثم أذكر منها ضوابط ثلاثة هي: أولا: ضابط التزام قواعد الإيمان و اركان الإسلام. ثانيا:ضابط الأستهداء بأركان الإسلام.

ثالثا :ضابط التزام النصوص الشرعية.

---

[٢١] الإنسان العبثي لا يستهدي بشرع ، ولا يلتزم بدين ، ولا تعنيه مصالح العباد ، ومن ثم فإن كل ما يقوم به لا يخرج عن الهدم ، ولا يمكن إعتباره تجديدا على ناحية من النواحي .

[٢٢] الضوابط جمع مفرده ضابط ، وهو القاعدة العامة التي تندرج تحتها جزيئات عديدة ، وينقاس عليها كل جزئية يمكن أن تنطوي تحت هذا الضابط أو الأصل في صورة من الصور ، و كما يسمي بالضابط فانه يسمي أيضا القاعدة ومن هنا كثرت القواعد العامة أو الضوابط في العلوم النظرية علي وجه الخصوص

وهي التي يتفرع عنها غيرها ، وسوف اتناول ضابط التزام قواعد الإيمان علي النحو التالي

"ضابط التزام قواعد الإيمان و أركان الإسلام"

يراد بالضوابط القلبية الشرعية ما يتعلق بأجزاء الإيمان الأساسية ، وتسمي الأصول الستة وقد جاء بها القرآن الكريم منها قوله تعالي ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٢٣] ، وكذلك جاءت بها نصوص السنة المطهرة الصحيحة في حديث جبريل رضي الله تعالي عنه[٢٤]، عندما سئل عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيرة وشره[٢٥].

وكذلك يراد بها ما يتعلق بأركان الإسلام الخمسة التي بني عليها ، وقد جاء بها الحديث الشريف في قول ﷺ بني الإسلام علي خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن أستطعت إليه سبيلا[٢٦].

يقول الشيخ " البروسوي " والمعني أخبروني أن كنت علي حجة واضحة ، ويقين من ربي، وكنت نبيا علي الحقيقة ، فهل يصح لي أن اتبعكم فأخلط الحلال

---

[٢٣] سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

[٢٤] كما يعرف بحديث جبريل ، فإنه يعرف أيضا بحديث عمر بن الخطاب ﷺ لأنه راوية الأعلى ، ويعرف بحديث ابن عمر عن أبيه .

[٢٥] الإمام البخاري : صحيح البخاري ، جـ ١ ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم ٥٠

[٢٦] العلامة الشيخ محمد أدريس المتولي : من هدى السنة ، صـ ١٢٧ ، وصحيح البخاري جـ ١ ، صـ ٢٧ ، حديث ٥٠ .

بالحرام ، ولا أمركم بتوحيد الله إن أريد إلا أعادتكم للصواب ـــ في العقيدة ، والحق في العبادة ، من خلال النصيحة والموعظة ، وما أنا بموفق في ذلك كله إلا من خلال تأييد الله لي ومعونته التي تفوق الكل ، عليه اعتمدت ، وإليه أرجع في كل ما أنا بصدده بل جميع أموري[٢٧] .

٢ـــ أن التجديد المشروع فيه تأكيد علي ما تستلزمه العقيدة الإيمانية من إخلاص حقيقي ،والتزام كامل ، وترك المظهر الخادع ، مع الاهتمام بالجوهر الفاضل ، لان الإنسان الواعي هو الذي يدرك أبعاد المسألة ثم يسعى للقيام فيها بأكمل الوجوه وأتمها[٢٨]، ومن هنا ظهر أن الذين يهتمون بالمظاهر في النطق بأجزاء الإيمان دون اعتبار لشيء آخر ، قد أوقعوا أنفسهم في الإلحاد العلمي، وخرجوا من الأيمان إلى الكفران لبئس ما كانوا يفعلون لأن الأيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ حديث رسول الله ﷺ في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار رجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال ما عملت فيها ، قال تعلمت فيك العلم

---

[٢٧] الشيخ إسماعيل حقي البروسوي تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد الثاني صـــ ١٩٣ اختصار الشيخ الصابوني الطبعة الأولي ١٤٠٨ هـــ – ١٩٨٨م. .

[٢٨] المسيرة الإنسانية بالنسبة للعقيدة الإيمانية ، القلبية فيها التوحيد الخالص ، الذي يجئ به الأنبياء والمرسلون من قبل الله تعالي وفيها التعدد الذي يجئ به أصحاب الإلحاد ، ومن هنا كانت عملية التجديد العقدي داخل القلوب وردها إلى الصواب من فوائد بعثه الرسل راجع كتابنا الغزاليات في النبوات ص ٤٥ وما بعدها .

والحكمة ، وقرأت القرآن ، قال كذبت ، ولكن ليقال فلان قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار[٢٩] .

يقول الأمام " الشاطبي " الأيمان عمل من أعمال القلوب ، وهو التصديق ، وهو ناشئ عن العلم، والأعمال قد يكون بعضها وسيلة إلى البعض ، وان صح أن تكون مقصودة في أنفسها ، أما العلم فإنه وسيلة ، وأعلى ذلك العمل بالله ، ولا تصح به فضيلة لصاحبه حتى يصدق بمقتضاه وهو الإيمان بالله[٣٠]

٣ ــ من هنا كان التجديد في التزام قواعد الإيمان معبرا عن حركة الحياة الفكرية داخل قلب ذلك الفرد المؤمن ، بحيث يرفض ما يغايرها قبل أن ينطق بها لسانه ، وبناء عليه فلا يدعو مع الله إلها أو آلهة أخرى ، ولا يتوجه لغيره تعالى بالدعاء والرجاء ، مكا لا يلتمس لدى غيره أي ملتمس ، وإذا وجد واحدا ممن وقعوا فيما يخالف هذه القواعد الإيمانية ، فإنه يدله على الصواب ، وينحى عن قلبه ذلك الفساد ، ويبذل جهده لإرضاء الملك الوهاب.

الضوابط المعرفية ــ العقلية

ونعني بها تلك التي أستقر العقل السليم على قبولها ، نظرا لما تبديه من معارف صحيحة قائمة على أصول سليمة ، وتحقق نتائج على قدر كبير من الدقة البالغة حد اليقين[٣١]، والتجديد فيها محاولة لزيادة هذا الناتج ، بجانب إعادة المعرفة إلى وضعها ، وليس خروجا عليها ــ أو امتهانا لها ــ فإذا تم التجديد من

---

[٢٩] الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٣ /١٥١٣ ح ١٩٠٥ – الأمام البيهقى السنن الكبرى ج٩ ص ١٦٨ حديث ١٨٣٣٠ وأخرجه مسلم في صحيحه من وجهين آخرين عن ابن جريج .

[٣٠] الأمام أبو إسحاق الشاطبي – الموافقات الجزء الأول ص ٤٨/٤٩.

[٣١] القاعدة العامة أن منكر الحقائق الثابتة ، والبدهيات العلمية يكون ناقص الأهلية ، فلا يلتفت أحد إليه ، وألا كان ضياعا للوقت ، وتبديدا للجهد .

خلال ذلك المفهوم كان مقبولا ، لأن الأحكام العقلية السليمة إذا تم الطعن عليها ضاعت المعارف ، وانتهت قصة العلم.

والفكر الإنساني الصحيح هو الذي يقوم بعملية المعرفة على وجه تقع بـــه الفائدة ، ويتحقق معه النفع ، يقول العلامة " ابن خلدن " أن إدراك المحسات أمر مشترك بين الإنسان والحيوان ، ويمتاز الإنسان بالفكر الذي يدرك المعاني القلبية بانتزاعها من المحسوسات والمعقولات[٣٢] ، وبناء عليه ، فإن الضـــوابط المعرفيـــة العقلية تستلزم ممن ينهض بالتجديد ألا يتعدى عليها ـــ أو يقفز فوقها ، وألا كان هدما وتبديدا ، لا بناء وتجديدا ، وهذا يمكن اجماله في ضابطين

احدهما: احترام اجتهادات العلماء وثانيهما :مراعـــاة احكـــام القواعـــد والأصول الثابتة وسوف افصل القول في الأول (إحترام إجتهادات العلماء)

إن العقل الإنساني من نعم الله تعالى ، وهو الذي يبحث وينقب ، يقـــول الدكتور " دراز " وقد مضى عليه من السنين الكثير ، وما يزال معينه جاريـــا لم ينضب ، ولا يزال يبتكر الجديد المفيد ،إنه لا شيء يقف أمام العقل الإنساني ، ولا شيء يضع حدا لكشفه وابتكاره سوى كسله وتراخيه[٣٣] ، ومن ثم فمسئولية العقل جد خطيرة ، ومهامها متعددة.

---

[٣٢] العلامة عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، الجزء الثالث ، صـــ ١٣٠٢ ، تحقيـــق الدكتور على عبد الواحد وافي ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ .

[٣٣] الدكتور محمد عبد الله دراز : دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية ، صـــ ٥٦ ، ط. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٨٩ .

صحيح أن إمكانيات العقل محدودة ، والتزام أوامر الشرع فيه السعادة ، وإجتهادات العلماء يجب أن يكون لها التقويم اللائق ، ويتم ذلك بعد إدراك أن العقل ميزان صحيح ، وأن أحكامه يقينية لا كذب فيها[٣٤] .

يقول العلامة " ابن خلدون " غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة ، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره ، فإن ذلك طمع في محال ، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب ، فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق ، لكن للعقل حدا يقف عنده ، ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه ، وتفطن لغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه[٣٥] .

صحيح ينظر العالم بعين عقله ، فيضع الأمور في نصابها اللائق بها ، ويقدم من النتائج ما تم التثبت منه ، والتأكيد عليه ، فإذا وقع شيء من التجديد، بعد ذلك فلا بد فيه من مراعاة هذه الجهود التي قام بها من سبق[٣٦] ، وألا عاشت الإنسانية كلها في دائرة المبتدأ الذي لا خبر له ، إذا كان كل لاحق يسعى لهدم ما بناه السابق ، وسيكون التأخير والفوضى أبرز سمات المجتمع الإنساني .

---

[٣٤] يقينية الأحكام العقلية إنما تكون في كل ما هو واقع في نطاق العقل ، ويتسع لإمكانياته ، ويمكن أن يقوم فيه العقل بدور الحاكم ، أما غيره فإن المسألة تختلف ، وإذا تعرض صاحب العقل لها فإنه يذبح عقله ، ويعلن فساد فهمه .

[٣٥] العلامة ابن خلدون : المقدمة ، جـ ٣ ، صـ ٩٦٨ .

[٣٦] العقل السليم ينهض للبناء المعرفي حتى يأخذ منه ، ثم يضيف إليه ، فهو ناقل أمين ، وبان واع ، وناقد له من رصيد الخبرات ما يسمح لبناء معارف جديدة ، ويقدم خدمات على قدر كبير من الأهمية .

على أن كل عالم يتمتع بخاصية ذاتية يمكن أن يطلق عليها اسم "الإجتهاد" ، ويعرف بأنه بذل غاية الوسع إما في درك الأحكام الشرعية[٣٧]، وأما في تطبيقها ، فالإجتهاد في تطبيق الأحكام هو الضرب الأول الذي لا يخص طائفة من الأمة دون طائفة، وهو لا ينقطع بإتفاق، أما الإتفاق في درك الأحكام الشرعية فهو الضرب الثاني الذي يخص من هو أهل له، وقد يخلو عصر من العصور وقد لا يخلو[٣٨] .

ثم أن هذه الخاصية الإجتهادية في درك الحكم الشرعي ، أو تطبيقه ، تمثل عملا علميا خالصا ، متى جاء على الناحية السليمة كان مجيئه نوعا من التجديد ، ومن هنا يمكن القول بأن التجديد ينال إحترام العلماء ، وتقدير إجتهاداتهم من حيث أنه واحد منها[٣٩]، بغية تحويل الأهداف النظرية ، والأحكام الخاصة إلى حقائق واقعية يمكن توظيفها ، والإستفادة بها على النواحي المختلفة .

إن التجديد يستلزم تخليص النفس من شوائبها العالقة بها ، حيث يتمكن من القيام بأعباء جديدة فيها الموازنة الجادة مع الإبتكار ، بجانب الإستهداء بالناتج الفكري المفيد ، ولا يكون ذلك قائما في صور كمالية ، إلا إذا تخلى المرء نفسه عن قصوره المعرفي ، وأنانيته المفرطة.

---

[٣٧] الأحكام الشرعية الأساسية خمسة ، هي : الحلال ، والحرام ، والمكروه ، والمندوب ، والمباح ــ أما أحكام العقل فثلاثة : الواجب ، والمستحيل ، والممكن أو الجائز ــ أما قوانين الفكر فثلاثة :الذاتية ، والغيرية ، ثم عدم التناقض وهو الثالث المرفوع .

[٣٨] الشيخ عبد الله دراز : هامش الموافقات للشاطبي ، جـ ٤ ، صـ ٧٣ ، ط. مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٦ .

[٣٩] منظومة التجديد تقوم على الإجتهاد ، إذ لا يعقل أن يقوم به خامل الذهن ، أو عاطل العقل ، أو عي الوجدان ، فضلا عن أن يكون من ذوي الإعاقات الفكرية .

يقول الشيخ "التوحيدي "[٤٠] ، إعلم أنك لا تصل إلى سعادة نفسك ، وكمال حقيقتك، وتصفية ذاتك إلا بتنقيتها من درن بدنك، أو صفائها من كدر جملتك، وصرفها عن جملة هواك ، وفطامها عن إرتضاع شهوتك، وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك ، وردها عن سلوك الطريق إلى هلكتك، وتلفك وثبورك وإضمحلالك[٤١] .

بعض الناس يعتقدون التجديد يقوم في النيل من العلماء ـــ أشخاصا وأفكارا ، رموزا وأسرارا ـــ ولا مانع لديهم من الولوج إلى ضمائرهم ومكامن أفئدتهم تحت أسم زائف ، وفعل فاضح ، يطلقون عليه حرية الرأي ، أو حرية التفكير ، وحرية التعبير ، والحق أنهم يسارعون في ظلم الآخرين ، فنالوا لقب المفسدين بدل المجددين ، الظالمين بدل العادلين ، والمفسدين بدل المصلحين[٤٢] ، ومهما تعللوا بالأعذار فلن تنجيهم يوم لقاء الواحد القهار .

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء على ناحية العلم والبنيان ، فإن إحترام إجتهاداتهم يكون أمرا مشروعا ، ويمثل في ذات الوقت تجديدا مقبولا ، عل أساس

---

[٤٠] هو الشيخ على بن محمد العباس ، وشهرته أبو حيان التوحيدي ، فارسي الأصل ، ولد في بغداد حوالي سنة ٣١٢ هـ، ونشأ بها ، ومات حوالي سنة ٤٠٣ هـ ، وهو غير أبي حيان الأندلسي الغرناطي صاحب تفسير البحر المحيط وغيره.

[٤١] العلامة أبو حيان التوحيدي : المقابسات ـــ المقابسة الأولى ، صـ ١١٩ ، تحقيق حسن الندوي، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٦ م.

[٤٢] مما يؤسف له أن الخصومة المذهبية أثرت حتى على بعض مفكري المسلمين ، فحذروا الناس منها ، ومع هذا وقعوا فيها ، حتى كفر بعضهم بعضا ، وحاول بعضهم النيل من بعض ، مما يعف اللسان عن ذكره ، والخوض فيه وهو مما أدى إلى تقهقر الأمة الإسلامية وتخلفها عن دورها الحضاري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أن التجديد فيه معنى التأكيد بالنسبة لما هو قائم صحيح، كما فيه تنحيه لما لا يكون له أصل سليم .

والفكر الإنساني فيه جوانب صحيحة كثيرة ، هي من مطارحات العقول ، وإحتكاكات المعارف ، وتناطحات الرأي[٤٣] ، وكلما كانت الآراء متقابلة على ناحية البحث والنقد ، مع التمحيص ،والرغبة في الوصول للحقيقة ، فإنها تقدم الجديد من حيث المقدمات والوسائل ، كما تقدم الجديد من ناحية النتائج والإسهامات .

يقرر الشيخ " شلتوت " أن البحث في القضايا والنصوص الإسلامية من ذوي الشأن ، أدى إلى تقرير حق الإجتهاد الفردي والجماعي[٤٤] ، وقد فتح لأهل البحث والاستنباط من علماء الشريعة الإسلامية أوسع الأبواب لتخير القانون الذي تنظم به شئون المجتمعات الإسلامية على إختلاف ظروفها ، غير مقيدين فيما يختارون إلا بشيء واحد وهو عدم المخالفة لأصل من أصول التشريع القطعية ، مع تحري وجوه المصلحة ، وسبيل العدل ، وكان ذلك أساسا لدوام الشريعة الإسلامية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان[٤٥] .

---

[٤٣] من الحكم القائمة مقام الحقائق الثابتة ، أن تناطح الآراء فيه تسامح العلماء من حيث أن كل واحد منهم يقف على عثراته ، ويحاول ترتيب خطواته ، حيث يدرك على أي أرض يضع قدميه ، وفي أي المعارف يسبح قلمه .

[٤٤] الإجتهاد الفردي يمثل صاحبه ، وهو رأيه ، أما الإجتهاد الجماعي فإنه يمثل المذهب الذي ينتمي إليه هؤلاء المجتهدون .

[٤٥] الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، صـ ٥٥ ، ط. دار الشروق الثالثة عشر ، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٨٥ م. .

في تقديري أن احترام جهود العلماء ، بجانب تقدير إجتهاداته يسهم في إختزال المعارف ، وتوفير الجهد ، كما يفتح بابا للتبادل الثقافي والمعرفي ، وفي نفس الوقت يضفي على صاحب الفتوى أو البحث العلمي شيئا من الثقة[٤٦] ، نظرا لأنه يقوم في فتواه أو بحثه على قاعدة ثابتة ، أنشأها له سلفه ، وقد أمضى سنوات عمره في هذا السبيل ليضيء للاحقه طريق البحث ،ويعبد أمامه كافة المزالق ويمهد الطرقات.

والمجدد هو الفرد الواعي ، صاحب العقل السليم ، والضمير اليقظ الذي يدرك أن عليه مسئولية سوف يثاب بها خيرا إن قام فيها على أتم الوجوه وأكملها ، أو يعاقب عليها سواء وفي الآخرة مذلة إن هو تناساها وعاش بين صنوف المقلدين[٤٧] ، الذين لا هم لهم سوى التقاط فضلات الآخرين ، والمؤمن المعطاء خير من الآخذ ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

الضوابط الأخلاقية

وهي التي تقوم في إلتزام الأخلاق العلمية النظرية والعملية التطبيقية ، بحيث يكون ما يصدر عن الإنسان داخلا في نطاق الحكم عليه ــ بالخير فيكون سعيدا ــ وهو ذاته الذي يحس به ، ولا يقبح من حيث أن الأخلاق هي الإطار العام الذي يبرهن على سلامة عقيدة المرء ، وصحة عبادته ، يدل عليه قول الرسول أن من أحبكم إلىَّ ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم أخلاقا ، المواطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وقد أمتدح الله تعالى الرسول الكريم محمدا ﷺ

[٤٦] قديما قيل عثرة الرأس تردي ، نظرا لما يرتبط بها ، أو يترتب عليها .

[٤٧] التقليد نوعان : الممدوح منهما هو تقليد العالم بدليله.

بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤٨] ، ويقول الرسول ﷺ ﴿ وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾[٤٩]،

ثم إن الأحداث العامة تنسج خيوطها الأولى من نسمات الزمن ، وتتمثل صورتها في الأشخاص والأحداث على قدر سواء ، حتى وإن اختلفت بعض المظاهر ،و تنوعت المفردات , كما أن الضوابط الأخلاقية بعضها فكري خلق الله الإنسان مزودا به ، وبعضها يجئ له على سبيل الإكتساب التعلم[٥٠]، ومن ثم بات الحديث عن هذه الضوابط في مقابلة التجديد أمرا ضروريا .

والأخلاق لا تكون منضبطة إلا إذا دارت مع صاحبها في أحواله كلها ، بحيث تستوفي الجوانب المطروحة على مائدة البحث من كافة الأنحاء ، ومن هنا يقرر الإمام "الغزالي " أن الخلق هيئة في النفس ، راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت هذه الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا[٥١] ، من ثم كانت الأخلاق حسنة ممدوح صاحبها ، أو سيئة مذموم عليها صاحبها.

---

[٤٨] سورة القلم : الآية ٤ .

[٤٩] الإمام البهيقي : السنن الكبرى ــ جـ ١٠ ، صـ ١٩٢ ، كتاب الشهادات ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ، حديث ٢٠٥٧١ .

[٥٠] هذا مما يميل إليه أصحاب القول بفطرية الأخلاق ، راجع كتابنا : تأملات غزالية في الأخلاق النظرية ، صـ ٩٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ .

[٥١] الإمام أبو حامد الغزالي : أحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، صـ ٥٢ ، تحقيق الدكتور / بدوي طبانة ، ط. الحلبي .

أعداء الإنسان الذاتية

والضوابط الأخلاقية تجيء في ثلاثة عناصر أساسية هـــى : الإلتـــزام ، ثم المسئولية ، وأخيرا يأتي الجزاء ليكون بمثابة الخاتمة المفصحة عن ذات الطبيعـــة ، والقرآن الكريم يقرر أن الإنسان متى نجا من أعدائه الأساسيين فإنه يحقق ضربا من الأخلاق المثالية ، وإذا أخفق فمما لا شك فيه أنه هالك علـــى ذات الناحيـــة ، والأعداء الثلاثة هم :

١ ـــ إتباع الهوى

٢ ـــ الإنقياد الأعمى

وهو متابعة الغير في كل ما يهدف إليه أو يشيره ، من غير تفكير فيه ، أو مراجعة له ، وإنما ينقاد المرء إليه إنقياد العميان ، ويزحف خلفـــه كمـــا يفعـــل الصبيان ، حيث تلغي الشخصية الذاتية والقدرات العقلية ، ولا يبقى لصـــاحبها شيء من مقوماتها الأساسية ، وقد حذرت آيات القرآن الكريم منه ، وبينت أن الذي يمارسه يسقط أخلاقيا، كما يسقط دينيا وإجتماعيا.

والشيطان نفسه قد أعلن البراءة من هذا الإتباع في قوله تعالى ﴿ كَمَثَـــلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾ [٥٢] .

ثم أن صاحب الإنقياد الأعمى شخص أعمى عن الحق ، أصم عن الوصول إليه ، لا يستجيب لصوت الحق أبدا ، ولا واعظ الله في القلب ، ومهما كـــان شأن الداعي ، فإن المنقاد الأعمى يرفض الإصغاء إليه ـــ أو الإنصات لما يقوله ، وفي هذا مذلة لصاحبه عند الله وعند العقلاء من الناس .

---

[٥٢] سورة الحشر : الآيتان ١٦ / ١٧ .

٣ ــ التقليد الفاسد

إذا كان الإنقياد الأعمى يساق فيه المرء سوق الذبيحة للجازر ، حيث يفقد قدراته العقلية من خلال استرساله مع الآخر[٥٣]، فإن التقليد الفاسد يقوم صاحبه إليه طواعية ، ويملك قدرا كبيرا من الممارسة بحيث يكون بإمكانه ممارسة هذا التقليد أو الخروج عليه ، ومن ثم ينفصل الإنقياد عن التقليد بهذه الخاصية .

وقد جاء الحديث عن التقليد الفاسد في القرآن الكريم داخل آيات قرآنية عديدة ، منها قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٥٤] ، وهذا النوع من التقليد الذي يمارسه صاحبه لا يرتجي من ورائه سوى إلغاء عقله ، وإطفاء نور بصيرته ، وكأنه يفضل تقليد غيره ومحاكاته فيما يفعل ، بدل من أن يكون هو صاحب اليد الطولى ، والقدم الراسخة ، والعقل الواعي .

لقد ظنوا أنهم بذلك أعفوا أنفسهم من المسئولية ، وتخلصوا من أعباء التحمل والمشاركة الذاتية ، ولكنهم لم يكونوا في تصرفهم سالكين طريق الحق ، بدليل أنه تعالى قال فإنتقمنا منهم إذ لا ينفع الهرب ، ولا ينجي إلقاء التبعية على الآخر مادامت القدرات العقلية سليمة، قال تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[٥٥] .

---

[٥٣] وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ لا تكونوا إمعة أن أحسن الناس أحسنا ، وإن ساؤا الناس أظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم أن أحسن الناس أنتسنوا ، وأن أساؤا فلا تظلموا .

[٥٤] سورة البقرة : الآيتان ١٧٠ / ١٧١ .

[٥٥] سورة البقرة : الآية ١٦٦ .

يقول الدكتور " دراز " في الفرد الفاعل الواعي عنصر عقلي ، وهو العنصر الأخلاقي بالمعنى الحق ، وفي الأمر الخلقي عنصر آخر هو العقل ، والحرية والمسئولية ، وتلكم هي العوامل الأساسية[٥٦] ، التي تقوم عليها المسالة الخلقية ، ومن ثم فالتجديد الصحيح لا بد أن يراعي ما تفرضه الضوابط الأخلاقية ،ومجملها التزام الخطاب الديني الصحيح ومراعاة ظروف الحياة المتجددة ,ثم ضرورة اسهام التجديد في تقديم الحلول المناسبة وسوف اذكر منها(التزام الخطاب الديني الصحيح)[٥٧]

أعني بالخطاب الديني اللغة والوسائل التي يمارسها من يقومون بدور إبلاغ تعاليم الله تعالى ، وتوضيح معالم الطريق لكل من يريد الوصول إليه ، ذلك أن الدين الإسلامي نصوص ، وما يدور حولها هو الفكر ، ولا بد لكل من النصوص والفكر أن يصلا إلى الآخر ، أو الميدان الذي لا بد من الوصول إليه ــ وهو إبلاغ تعاليم الله تعالى إلى خلقه في صورة آمنه ــ[٥٨] ، وعلى النواحي التي تفيد المكلفين ، حتى يسعدوا في دنياهم ويفوزوا في أخراهم .

ثم توجه هؤلاء الحمقى بأسلوب هادئ ، وتقريع رائع من يرزقهم من السماوات والأرض ، ومن يحاسب الجميع كلا على ما قدمت يداه ، ثم في النهاية تأخذهم عن أنفسهم الأمارة بالسوء إلى اللوامة ، وربما تصل المسالة إلى

---

[٥٦] الدكتور / محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، صـ ٢٥ ، تعريب الدكتور / عبد الصبور شاهين ، ط. مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م. .

[٥٧] الخطاب الديني غير الأصولي لأن الأول أعم بينما الثاني أخص ، ومن ثم فتعريف الأصوليين للخطاب الأصولي قد لا يفيد في تعريفنا للخطاب الديني .

[٥٨] هذا الأمان الذي مارسه الرسول ﷺ والصحابة الأجلاء ، ثم جاء التابعون فساروا نفس الطريق ، ونسجوا على ذات المنوال ، فحققوا أعلى النتائج ، وجاءت معهم أطيب الثمرات .

المطمئنة ، قل يجمع بيننا جمعا رب الأرباب ، خالق كل شيء ، ثم يفتح بيننا بالحق[٥٩] ، فمن كان في طريق الهداية سعيه نجا ، ومن بات في طريق الغواية مسعاه هلك.

ثم أن إلتزام الخطاب الديني يجعل لغته الحوارية ذات تأثير فعال ، بحيث تعطي للمستمع فرصة التأمل فيما يلقى إليه ، ثم تمنحه فرصة أخرى في إبراز وجهة نظره بشأنه[٦٠] ، وفي النهاية تعطيه الحق في تقرير الرأي الذي رجح لديه ، ومن هنا تكون قد وفرت له كلا من حرية التفكير ، وحرية التعبير ، وحرية إختيار ما يراه مناسبا .

من ثم فإن التزام الخطاب الديني الذي يجئ في لغة حوارية استهدافية تنقل للناس المفاهيم الحديثة ، وتوازن بينها بحيث يكون معيار الاستفادة المشروعة منها هو الذي يتم عليه القول , أو الرد ، فإنه يحقق نتائج طيبة ، ويزرع في الناس المحبة والرحمة , وهذا لا ممانعة فيه ، بل يكون مطلوبا في كل عصر حتى لا تكون هناك هوة يصعب إغلاقها ، أو فجوة لا يمكن تجاوز أسوارها.

ولا شك أن المفكر الواعي يستطيع عرض قضاياه في صور هادئة هادفة ، بعيدا عن الإثارة ، ويقدم الدلائل التي تعينه في الوصول إلى هدفه ، بعيدا عن الظنون والريب ، ويصطنع من الوسائل ما تكون الحاجة داعية إليه ، والنتائج مرتبطة به لأن الله تعالى قال في القرآن الكريم ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

---

[٥٩] وهذا من أفضل الوسائل المتعلقة بالخطاب الديني على الناحية الإجمالية .

[٦٠] هذه الخصائص الإمتيازية تظهر بوضوح داخل النصوص الإسلامية ، ومن يراجع الآيات القرآنية يجد ذلك كثيرا .

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٦١].

أخلص مما سلف إلى ما يلي:

١ــ أن الضوابط الأخلاقية منحة إلهية ، وأنها عاملة في الكون كله ، وأن التجديد الذي يجيء متناسقا معها يكون مقبولا مادام في ذلك تحقيق لمصالح مشروعة ، فإذا خالف التجديد القواعد المشروعة لم يكن تجديدا ، وإنما كان تدميرا للجوانب الأخلاقية.

٢ــ أن إلتزام الخطاب الديني الصحيح يجعل الفرد متجددا على الدوام ، متمكنا من ضبط نفسه مع الحق يسير في إتجاهه ، ويسعى معه ، بل يقدم النصح والإرشاد من خلال الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن طبقا لما جاء من عند الله فيقل أعداؤه ويكثر أصدقاؤه , ويعم الخير الناس.

٣ــ أن مراعاة الظروف الحياتية مسألة أخلاقية عمادها التعاون في كل ما يحقق المصالح المشتركة لبني الإنسان ، ويستهدف بالنفع الصالح العام ، كما يوفر الجهد والطاقة ،ويعين في تفهم النصوص الشرعية ، كما يوازن بينها والإرتباطات الأخروية ، وهذا من شأنه أن يكثر في الناس التعاون كما يحقق أعلى درجات التآلف بين الناس.

٤ــ أن مراعاة الضوابط الأخلاقية تفرض على كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني بذل المجهود والمشاركة الفعالة في تحقيق الأهداف المشتركة ، لأن الإنسان الواعي لا يقبل أن يكون كسولا ، كما يرفض أن يكون في موضع لا يتناسب معه.

---

[٦١] سورة النحل : الآية ١٢٥ .

٥ــ ضرورة التركيز على الفرد الإنساني ، وأنه اللبنة الأولى في بناء هذا المجتمع الإنساني ، وأن كل ما يصدر عنه يؤثر في دوره الحياتي ، فأمـــا أن يكـــون حسنا يمدح به ، أو سيئا فيذم عليه وكل الناس الكـــاملين في الأخـــلاق يقبلون على المدح والذكر الحسن الذي يرتبط بالمشروع من قبل الله تعالى ، أما سواهم فلا عبرة بهم.

خاتمـــــة

تمثل الخاتمة في الأبحاث العلمية أهم النتائج البحثية ، كما تعرف القـــارئ بجملة المقترحات والتوصيات التي إنتهى البحث إليها ، فإذا فرغ من ذلك كلـــه قدم أبرز ما يراه من الإضافات العلمية التي تضمنها البحث ذاته.

وحيث أن ذلك يحتاج وقتا قد لا أتمكن منه الآن ، فإني أكتفي بـــذكر أهم الإضافات العلمية على النحو التالي:

١ــ التأكيد على أن التجديد لفظ شرعي ، ومصطلح إسلامي ، وردت مادته في القرآن الكريم كما ورد لفظه في الحديث النبوي الشريف ، ومن ثم فلم يتم إستيراده من ثقافة غير إسلامية ــ لا في اللفـــظ ولا في المعـــنى ــ لأن الإصطلاح الذي نقله قائم في كل من اللغة ومناهج المحدثين والفقهاء.

٢ ــ بيان أن التجديد لفظ مشترك يراد به التجديد الإيجابي ، وحينئـــذ يكـــون اللفظ منصرفا إلى أكمل معانيه ، وقد يراد به مجرد التجديد اللغوي فإذا جاء على جانب من الهدم والتدمير ، فلا يكون تجديدا ، وإنمـــا يكـــون تخريبـــا وتدميرا ، والواقع المعاش يشهد به.

٣ــ التركيز على أن الضوابط الشرعية هي التي تصون التجديد من الإنفـــلات اللفظي ، وتجعله محصورا في المعنى الإيجابي ، وهذا مما يقدم فائدة بحثية يمكن

الرجوع إليها في مصادرها المختلفة ، لأن الإيمان هو ما وقـــر في القلـــب ، وصدقه العمل.

المراجع

أبو إسحاق الشاطبي ، **الموافقات** الجزء الأول

أبو حيان التوحيدي ، **المقابسات** ـــ المقابسة الأولى ، تحقيق حسن الندوي، مكتبة الأســـرة سنة ٢٠٠٦ م.

الإمام أبو حامد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، جـــ ٣ ، تحقيق الدكتور / بدوي طبانـــة ، ط. الحلبي

ابن خلدون ، **المقدمة** ، جـــ ٣

السيد الشريف الجرجاني " الإصطلاح اتفاق طائفة على وضـــع اللفـــظ بـــإزاء المعـــنى ـــ **التعريفات** ، باب الهمزة ، ط. الحلبي سنة ١٣٥٧ هـــ / ١٩٣٨

الشيخ محمد منصور أبو صبرة ، **نظرات في السنة** ، ط. المطبعة الميمنية ، سنة ١٣٣٤ هـــ ،

الشيخ عبد العظيم محمود فضل الله، **من كنوز السنة** ، ط. الدار القويمة ، سنة ١٩٦٧

الشيخ محمد إدريس المتولي، **من هدى السنة**

الشيخ محمود شلتوت ، **الإسلام عقيدة وشريعة** ، ط. دار الشروق الثالثـــة عشـــر ، ســـنة ١٤١٤ هـــ ـــ ١٩٨٥

محمد فؤاد عبد الباقي ، **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، باب الجيم

محمـــد عبـــد الله دراز ، **دســـتور الأخـــلاق في القـــرآن** ، تعريـــب الـــدكتور / عبـــد الصبور شـــاهين ، ط. مؤسســـة الرســـالة ،الطبعـــة الثالثـــة ســـنة ١٤٠٠ هـــ / ١٩٨٠

مصطفى عبد الرازق ، **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٧